



## مناهضة العنصرية: تمكين الأطفال في جيل الطفولة المبكرة

د. حجيت جور زيف  
قسم الطفولة المبكرة، سمينار  
هكوتسيم



## أبعاد نظرية

### أهمية التعاطي مع النضال لمناهضة العنصرية في جيل مُبكر

تشير أبحاث جرت في الولايات المتحدة إلى أن الأطفال واعون في سنّ مبكرة جدا للفروق الجسدية والثقافية بين بني البشر، وأنهم يلتقطون التوجهات الاجتماعية المرتبطة بهذه الفروقات. قامت ماري ألن جودمان برصد مئة طفل فاتح وداكن البشرة، تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة، ووجدت أن الأطفال لم يكونوا واعين للفروقات العرقية فقط وإنما عبّر حوالي 25% منهم عن مواقف كانوا قد ذوّتوها بشأن التفضيل العرقي<sup>1</sup>. ينتبه الأطفال إلى الفروقات العرقية بل أن بعضهم واعٍ، أيضا، لعلاقات القوة بين الأعراق.

قالت طفلة فاتحة البشرة ابنة الخامسة أنها ستشتري بنظالا جديدا. "ما لونه؟" سألتها صديقتها، طفلة داكنة البشرة. ردّت الطفلة فاتحة البشرة: "ليس بنيا لأنني لا أحبّ اللون البني". قالت الطفلة داكنة البشرة: "إذن، أنت لا تحبينني!". قالت الطفلة فاتحة البشرة: "لا، أنا أحبّك. ولكي لا أحبّ البنطال باللون البني، فقط".

لدى تأهيل معلمات ومربيات الجيل المُبكر، والذي يتمّ من خلاله التعليم عن سيرورات التطور الفكري والجسدي والعاطفي والاجتماعي لدى الأولاد والبنات، هنالك تطرق محدود - في حال حصل ذلك أصلا - لسيرورات الفهم التي تحدث في الجيل المبكر فيما يتعلّق بانتماهم العرقي - الثقافي. يستند هذا التوجه إلى الاعتقاد بأن الأطفال الصغار، على براءتهم، لا ينتمون لعلاقات القوة الاجتماعية، وأنه يجب أن نترك لهم فترة الطفولة الطاهرة البريئة. إن عدم التطرق إلى موضوع تطور الوعي لعلاقات القوة الاجتماعية في تأهيل المربيات يعكس وينسخ التوجه القائل بأن امتناع الكبار عن الحديث مع الأطفال عن العنصرية سيمكّنهم من النموّ دون أن تكون لديهم أفكارا مسبقة<sup>2</sup>.

يحاول الأطفال أن يجدوا معنى لتجارهم حتى في الوقت الذي يصمت فيه المعلمون/ات والأهل. بدون تفسير وتوجيه من الكبار، بدون التمييز بين الاعتراف بالفروقات وبين العنصرية ورفضها بشكل قاطع، يتعرّز لدى الأطفال الإدراك أن الفروقات مرتبطة بشكل طبيعي بتوزيع القوة غير المتساوي. فهم يستوعبون، من خلال التأمل في بيئتهم، النهج الاجتماعي والذي تقوم وفقه مجموعات عرقية/ إثنية معيّنة باستغلال مجموعات أخرى، ويفهمون أنه النظام الصحيح للعالم. هكذا، يُفضي التجاهل إلى تعزيز العنصرية كنظام اجتماعي ويكرّس الوضع القائم.

يكبر الأطفال دون أفكار مسبقة ومواقف عنصرية فقط حينما يعيشون في مجتمع غير عنصري. حتى ذلك الحين، وظفتنا كبالغين أن نوجّههم وأن نرشدهم ليطوّروا تفكيرًا وتصرفا اجتماعيا مناهضا للعنصرية. من الممكن القيام بذلك عن طريق توفير المعلومات حول الهوية الاثنية/ العرقية/ الجندرية لدى الأطفال، وتطوير الشعور بالاعتزاز بهذه الهوية عن طريق توفير المعلومات عن المجموعات الأخرى وتطوير الاحترام والتقدير اتجاهها، وعن طريق الشرح عن علاقات القوة وكيفية قيام العنصرية بالحفاظ عليها. علينا، كذلك، إكسابهم الأليات لمواجهتها وأن نكون نحن بأنفسنا قدوة لمحاربة العنصرية على جميع أشكالها - (العنصرية ضد النساء (سكسيزم)، العنصرية ضد الشرقيين، ضد أصحاب البشرة الغامقة، ضد مجموعات إثنية، ضد أناس فقراء، ضد أناس ينتمون إلى دين معيّن (مثل اللاسامية أو الأسلاموفوبيا)، ضد ذوي الاحتياجات الخاصة - هذا التوجّه سيمكّن الفرد ومجموعة الانتماء، أيضا.

1. Winkler, E. N Children Are Not Colorblind: How Young Children Learn Race, PACE -High Reach Learning, vol. 3 no 3, 2009. [https://www4.uwm.edu/letsai/africology/faculty/upload/children\\_colorblind.pdf](https://www4.uwm.edu/letsai/africology/faculty/upload/children_colorblind.pdf)

2. Derman-Sparks L., C. Tanaka Higa, B. Sparks., Children, Race and Racism: How Race Awareness Develops, available at: [http://www.teachingforchange.org/wp-content/uploads/2012/08/ec\\_childrenracism\\_english.pdf](http://www.teachingforchange.org/wp-content/uploads/2012/08/ec_childrenracism_english.pdf)

## ما هي العنصرية

كتب ألبير ميمي، كاتب ومثقف فرنسي - تونسي معروف، كتابا عن العنصرية<sup>3</sup>، يصف فيه المجتمع البشري كمقسّم إلى مجموعات مهيمنة ومسيطر عليها، أو إلى أولئك المنتمين لمجموعة الشخص نفسه و "الأخرين". تطرق ميمي إلى الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا ورأى العنصرية كجزء جوهري من الاحتلال الاستعماري. عرّف العنصرية كإكساب قيمة للفروقات الحقيقية أو المتخيلة بين البشر، والتي تبرز منح فائض من الحقوق لأحدهم والتعامل بعدوانية مع الآخر والمسّ به. تعريف ميمي للعنصرية ووصفه للظاهرة في كتابه "العنصرية" أصبحا حجر الأساس المقبول لفهم العنصرية عالميا.

ش. طفل من "موشاف"، لعب مع د. جاره الطفل. سمع د. يقول تنقصه بعض اللعب وأن العرب سرقوها (أفكار سائدة في المجموعة التي يعيش فيها، ان العرب يسرقون). في وقت لاحق بحث ش. عن لعبة ولم يجدها. هاتف عمته الشرطية واشتكى: "العرب سرقوا لعبتي".

العنصرية، وبالرغم من أنها ظاهرة منتشرة في أمكنة كثيرة، يتمّ اكتسابها وتشكّل محصّلة لتفاعلات إنسانية وتُعلّم من خلال وسائل الإعلام العديدة والأدب واللعب وما إلى ذلك. بناء عليه، من الممكن تغييرها. تعبيرات متطرفة للعنصرية، كالعبودية مثلا، أصبحت معتدلة مع مرور الزمن. فالعبودية اليوم، وإن كانت لا تزال موجودة في العالم، تعتبر مرفوضة وغير قانونية. في دول العالم الديمقراطية يعتبر بنو البشر متساوون أما التمييز بأنواعه ضدهم - على خلفية العرق، الجندر، القومية، الاثنية، الدين أو إعاقة جسدية أو نفسية - فممنوع ويعتبر غير شرعي. ولكن في وعي الكثير من الأشخاص يُشكل الاختلاف بين البشر سببا كافيا لتعامل يميّز ضدهم ولأفكار نمطية وإقصاء. رغم كل القوانين الموجودة لحماية حقوق المجموعات المختلفة، فإننا نعيش في مجتمع لا تتوقّف فيه المساواة ويلحق الضرر بمجموعات كثيرة نتيجة إقصائها إلى الهامش، نتيجة التمييز والتعامل المهين وأشكال أخرى من المسّ بحقوقها.

أ. ولد أتيوبي عمره خمس سنوات لم ينتظر دوره للترّجّل بالمزلاج. تجاوز بشكل سريع البنت التي كانت أمامه، تجاوزها وتزلج بسرعة في حين كانت تتموضع ببطء على متن المزلاج. توجّه والد البنت إليه صارخا في وجهه: "عُد إلى السودان - ليس لديك ما تفعله هنا"

يقضي التوجّه العنصري بأن هنالك أشخاصا ينتمون إلى عرق أسى بيولوجيا من الأعراق الأخرين وأنه، بفضل هذا التفوق البيولوجي، فإنهم أرق اجتماعيا وثقافيا. وأنهم أفضل من غيرهم فهم يستحقون فائضا من الحقوق ولهم الشرعية المفترضة للسيطرة على مجموعات يتمّ تصويرها على أنها أدنى بسبب أصولها. هذه الفرضيات العنصرية غير صحيحة طبعاً. يقول يهودا شهاب أن "العرق" هو مصطلح مُتخيّل، لأنه على مرّ التاريخ كان هنالك اختلاط بين المجموعات البشرية<sup>4</sup> بالنسبة لأبناء الشعب اليهودي مثلا، تمّ الحفاظ على تجانس نسبيّ بسبب الموانع الدينية وبسبب التهميش الاجتماعي واللامسية. بالرغم من ذلك، اليهود مختلفون جدا عن بعضهم البعض ويشبهون سكان المناطق التي عاشت مجموعاتهم فيها مثل روسيا، شمال أفريقيا أو أتيوبيا، أكثر مما يشبهون أبناء شعبيهم اليهودي من مواقع أخرى. العنصرية لا تستند إلى العلم، وفي واقع الأمر، لا علاقة بين خصائص مثل الجمال والقيادة والروحانية وما إلى ذلك، وبين الأصول البيولوجية. العنصرية، حسب ميمي، ليست عقلانية ولا تقوم على منطق وليس لها سبب. العنصرية مبنية على مشاعر وأفكار مُسبقة، على تربية وعلى تجريد الغريب من إنسانيته.

تُنشأ الثقافة التي تنطوي على عنصرية اتجاه مجموعات مُستضعفة، والتي تنفي "الأخرية"، أجواء تصوّر العنصرية على أنها نظام عالمي طبيعي. يتربى الأشخاص على الإيمان المُعلن والمُضمّر بأن الانسان صاحب البشرة البيضاء هو أفضل من صاحب البشرة الداكنة، وأن الاشخاص الذين يولدون أصحابهم محظوظون مقابل "بائسي المصير" الذين يعانون من جسد "غير معافٍ"، وأن الرجال أفضل في السيطرة والادارة، وأن النساء وُلدن مع ميول للطبخ وللاهتمام بالأطفال، وأن أبناء ديانة معينة أفضل من أبناء ديانة أخرى، وأن للأغنياء الحق في إدارة العالم وأن الفقراء هم كذلك لأنهم لا يجتهدون في العمل.

أراد ر. أن يلعب بالتركتور اللعبة التي لعبت فيها ل. قال لها: "أعطيني التراكاتور، فقط الأولاد يقودون التراكاتور. ممنوع على البنات أن يلعبن بالتركتورات".

3. ميمي، أ. (1994) العنصرية. بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر والتوزيع.

4. ما هي العنصرية، برفسور يهودا شهاب في هذا الكتاب، صفحة 20

يحذر ميمي من الاستعمار، ففي حالة الاحتلال الاستعماري، حسب قوله، المستعمر والمستعمر على السواء يتسلمان بالعنصرية. يقوم المحتلون بتعزيز العنصرية في أنفسهم لكي يبرروا أعمالهم. يستخفون بالخاضعين لهم، يقللون من قيمتهم، وينظرون إلى ثقافتهم على أنها راقية وقيمهم أكثر أخلاقية. ينسب أصحاب النفوذ، القاهرون، لمكانتهم الاجتماعية ركائز بيولوجية شمولية لتعزيز قوتهم وإدامتها وتبريرها. ينسبوا لخصائص عندهم. مثلا، لون البشرة البيضاء، اللباس الغربي واللغة الانجليزية وغيرها. قيما إيجابية ويجعلونها رمزا للتفوق. مثل هذه السيرورات تحصل في مساحة العنصرية الموجهة ضد النساء: تكتسب الصفات الرجولية تقريبا أعلى من الصفات الأنثوية، ويتم تربية النساء على الاعتقاد بدونيتهن فيذوتن العنصرية الجندرية الموجهة ضدهن.

أم بيضاء سمعت ابنها وأصحابه وهم في السادسة من العمر يتحدثون فيما بينهم حول ايجابيات عدم كونهم "سودا".

تتحول المجموعة التي تعاني من العنصرية إلى أقلية تعاني التمييز ضدها، حتى وإن تساوت عدديا مع الأكثرية المسيطرة أو حتى لو شككت الغالبية من السكان، لأن مكانة الأقلية تتعلق بانعدام القوة الاجتماعية. هكذا النساء، فهن أقلية تعاني من التمييز حتى وإن كنّ غالبية من الناحية العددية.

لا توجد علاقة بين ميزات الأقلية التي تتصورها الغالبية وبين الواقع. فالبيض الأوربيون ينظرون الى أصحاب البشرة الغامقة على أنهم ضعفاء ثقافيا. الرجال يرون النساء على أنهم حساسات، ثرثارات وغير قادرات على اتخاذ القرارات. الأشخاص بدون إعاقة ينظرون إلى الأشخاص مع إعاقات على أنهم مساكين وسيئو الحظ. ذوو الهوية الجنسية المألوفة ينظرون إلى المثليين من الرجال على أنهم مخنثون والمثليات كرجاليات. اللاساميون يرون اليهود كبخلاء وطماعين. أهل المدن يرون سكان القرى كمتخلفين ومضطهدين للنساء. الأغنياء يرون الفقراء ككسالى وعديبي القابلية للعمل. لا يمكن التأثير على طريقة تفكير العنصريين عن طريق إيراد الشواهد والاثباتات لأنهم لا يعترفون بالحاجة إلى فحص الواقع. كما هو معلوم، لا تسري قواعد المنطق فيما يتعلق بالعنصرية. تتناقض الأفكار المسبقة أحيانا بعضها مع بعض: فاليهودي هو بخيل وعبقري في الوقت ذاته، المرأة غبية ومحتالة، المعاق مسكين وبطل خارق يتغلب على المصاعب. تزداد العنصرية قوة عندما تكون متعددة المستويات. مثلا، اتجاه الشرقيين أصحاب البشرة الداكنة أو اتجاه النساء العربيات المسلمات أو النساء ذوات الإعاقة.

تشكل الظواهر العنصرية دوما في سياق اجتماعي وقد تكون أحيانا مُستترة غير ظاهرة. هنالك أنواع عديدة للعنصرية تؤدي إلى التمييز والتميش في صيغ متنوعة. مثلا، العنصرية التي تؤدي إلى تمييز بُنيوي تنتج مُجتمعا يكون فيه القضاة من الأشكناز والسجناء من الشرقيين. إن إحدى ظواهر العنصرية الشديدة تجسد في العنصرية التي يتم إنكارها، تلك المُستترة عن الوعي، عنصرية تخيلنا أنها رحلت من العالم. العنصرية التي يتم إنكارها تندمج أحيانا مع العنصرية البُنوية: مثلا، يعتقد الكثيرون أن العنصرية اتجاه الشرقيين هي في حكم الماضي رغم أن الحقائق تشير إلى أنه لا يزال 90% من المحاضرين بدرجة بروفيسور في الجامعات من الأشكناز، وأن طالبا جامعيًا واحدا فقط من بين كل أربعة طلاب من أصل شرقي، بينما 90% من السجناء في إسرائيل هم شرقيون.

تنتج العنصرية الايجابية مقولات مقبولة ولطيفة في الظاهر، ولكنها لا تختلف في الفحوى عن العنصرية السلبية. الكتاب "ولد من الشوكلاطة" بقلم حجيت كوهين - والتي تقوم فيه المعلمة بتفسير لون بشرة الولد البنية بشكل إيجابي- يعكس عنصرية إيجابية. الشوكلاطة حلوة ولذيذة ولكن لا فرق بين القولين: ولد بُني مثل التراب وولد بني مثل الشوكلاطة. هذا التوجه يُبين ويمس بالمدى نفسه. إنه توجه للإنسان - ولد أو بنت - وفق لون بشرته وليس بحسب شخصيته، صفاته، مواهبه أو تميزه الانساني، كما من المفروض أن يكون. يسمع الأطفال. كانوا من الأولاد أو البنات. من أصل أثيوبي كلمة شوكلاطة كمصطلح تحقيري للون بشرتهم. حتى وإن كان نابعا من "النوايا الطيبة" للمربية فإنه يُفهم كإهانة في المجموعة الأثيوبية. من الممكن أن تكون العنصرية إيجابية مثلا شراء السكاكر لطفل أسود لأنه "حلو" جدا أو تفضيل طفل/ة عن طريق إعطائه/ها مهام إيجابية.

ولد عمره 5 سنوات سأل أمه: "كيف يمكن ألا يكون هنالك اي سوبرمان أسود البشرة؟"

# التربية لمناهضة العنصرية في جيل الطفولة المبكرة

## جوهر الاقتراح

نحن ضد التقسيمات الاجتماعية المبنية على لون البشرة، الانتماء الطبقي، الانتماء الاثني، القومي، الديني، الجندري والاعاقة الجسدية وغيرها. نرى في هذه التقسيمات نظاما اجتماعيا مُكتسبًا، ونقترح طرقًا تربوية لدحض رؤية توزيع القوى غير المتساوي لمجموعات طبقية، عرقية، جندرية، إثنية وقومية - على أنها نظام اجتماعي طبيعي. يعتمد هذا الاقتراح على التربية النقدية النسوية والتي تبحث في التربية من منظور المساواة والتغيير الاجتماعي وتقدم طرقًا تربوية للتصدي للأنماط العنصرية والتمييز على كل أشكاله، المستتر منها والظاهر.

الهدف من التركيز على الموضوع هو خلق تغيير في الوعي لدى الأطفال صغيري السن، ولدى المربيات والأهل، وإحداث تغيير اجتماعي من أجل العدالة الاجتماعية من منظور تربوي يأخذ بعين الاعتبار جميع فئات المجتمع "دون فرق في العرق والدين والجنس"، ومن خلال الاعتراف بوجوب رفض كل أنواع التمييز والعنصرية اتجاه مجموعة أيا كانت.

الأطفال الذين يعيشون في ظروف غير متساوية يتعرضون إلى ظواهر اللامساواة ويدونونها، ولكنهم لا يعرفون تسميتها بالاسم وفهم ماهيتها. يُنمّي الشرح عن الظاهرة والنشاطات التربوية ضد العنصرية والتمييز لدى الأطفال الحسّ بالعدل الطبيعي الكامن فيهم. إن تغيير الواقع يتطلب الاعتراف به، التعبير بالكلام عن الظاهرة السلبية المرصودة واتخاذ موقف اخلاقي واضح ضدها.

### يُنمّي الشرح عن الظاهرة

### والنشاطات التربوية ضد العنصرية

### والتمييز لدى الأطفال الحسّ

### بالعدل الطبيعي الكامن فيهم.

إن خلق الوعي الاجتماعي ينطوي على معرفة وفهم الواقع وتحليله وتطوير الحساسية للمشاكل النابعة عن التمييز.

كوننا نعيش جميعا في واقع نتعرض فيه إلى ظواهر عنصرية وتمييز ضدّ مجموعات اجتماعية فإننا لسنا أنقياء من الأفكار المُسبقة والنمطية. بالإضافة إلى النشاط التربوي مع الأطفال، على كل واحد وواحدة منا أن ي/تفحص نفسه/ا

والخوض في سيرورة مواجهة مع التربية التي تلقيناها والتي صقلت شخصياتنا. نركز هنا على كل أنواع التمييز والعنصرية ضد جميع المجموعات التي تعاني منها. من الممكن استعمال الأفكار لفعاليات على أنها وحدات متسلسلة - القيام بكل فعالية على جِدة أو دمجها - بحسب قرار المربية ومعرفتها بصفتها أو روضتها.

الاقتراح مكتوب بصيغة المذكر والمؤنث. تستعمل مُعظم البرامج التربوية صيغة المذكر فقط من خلال محو عمليّ لحقيقة أن خمسين بالمئة من مجموعة الطلاب والطالبات هن من الإناث. التوجه للمربيات، وهو جمهور مكوّن في مُعظمه من النساء، يأتي بصيغة المؤنث. من المهم الاعتراف بحقيقة أن التربية في البلاد، خاصة في جيل الطفولة المبكرة، هو عمل يتمّ بمعظمه بأيدي نساء. تنطوي هذه الحقيقة على الكثير من القوة. بل تجسّد الإمكانية لتغييرات عميقة، تمّ إنجازها ولا تزال تُنجز في إطار الثورة النسوية.

## كيف نربي لمناهضة العنصرية في الجيل المبكر

الخطوة الأولى في التربية لمناهضة العنصرية هو الاعتراف بالعنصرية كظاهرة وتسميتها باسمها. الخطوة الثانية، أن نفهم أن الأطفال يفكرون في مسائل العرق في فترات مختلفة من نموهم. وعليه، على البالغين أن يوضّحوا لأنفسهم الفرق بين الاعتراف بالهوية الاثنية وبين العنصرية. هنالك فروقات في اللون والجندر والدين والطبقة والامكانيات الجسدية، نراها نحن والأطفال أيضا، ولا حاجة لإنكار وجودها. يبرز التوجّه العُنصري حين يتمّ إعطاء هذه الفروقات قيم التفرّوق أو الدونية، عندما يتمّ إعطاء الفرد قوة ومكانة أعلى بينما يكون الآخر عُرضة للمسّ والاستضعاف.

قال أخوأمنون ليفي معدّ المسلسل "الشيطان الطائفي" أنه طلب من أمه أن تغسله جيدا في طفولته لكي يصبح أكثر بياضا. منذ صغر سنه فهم أن البشرة الفاتحة أفضل من البشرة الغامقة لأن أصحاب البشرة الفاتحة لديهم مكانة اجتماعية أفضل.

من الشائع الاعتقاد بأن التربية لمناهضة العنصرية في الجيل المبكر هي تربية لتقبل المختلف أو الآخر. من الشائع، أيضا، تحديد أهداف مثل "سيتعرف الأطفال على الآخر، ويتطورون التسامح اتجاه الآخر"، وغيرها.

قراءة القصص ومرافقتها بأسئلة مثل: هل أحببت القصة؟ ماذا شعرت؟ مع أية شخصية تماثلتم؟ هذه الفعاليات، رغم كونها جيدة، لا تمرر رسالة واضحة ضد العنصرية إذا كانت لا تعترف بالظاهرة ولا تستنكرها. الأطفال في جيل الطفولة المبكرة لا يستطيعون الربط بين هذه الفعاليات وبين العنصرية التي ينكشفون عليها في الشارع والعائلة أو الأماكن الأخرى.

نقترح تمرير رسالة واضحة بأهمية قيمة المساواة بين البشر والتعامل المحترم لكل واحد وواحدة بصرف النظر عن لون البشرة، الجنس، المكانة الاجتماعية، الانتماء الإثني، الدين أو الوضع الجسدي. من المفروض أن ترفض هذه الرسالة كلّ تصرّف مُسيء أو مُهين أو غير مُحترم اتجاه الآخر وأن تخلق حساسية ووعي لتصرفات تبدو أن لا صلة لها بالعنصرية (عنصرية مستترة أو عنصرية إيجابية)، وتطوير الإدراك بأن هذه التصرفات غير مقبولة، أيضا. الرسالة الواضحة يجب ان تمرّر بين المضامين المختلفة المعروضة في الروضة كخطب حرير وكرّد فعل على الأحداث وكخطاب متواصل مع الأطفال في السيرورة الطبيعية لحياتهم.

تثير التربية لجيل الطفولة المبكرة معضلات غير محلولة وحيرة شديدة، إذ أن الأطفال صغار جدا، هشّون ويريثون، لكنهم ينكشفون بأنفسهم على ظواهر العنصرية والتي تحدّد نظرتهم للأشياء. تتداول هذه الحقيقة هذه المعضلات والصعوبات ولكنها لا تتخذ موقفا قاطعا لا بهذا الاتجاه ولا بذاك، بل لا يتمّ الحسم إلا ضمن سياق الحالة والبيئة ومن خلال معرفة الأطفال لأنفسهم. لا وجود لأجوبة قاطعة لجزء كبير من المعضلات، وعلى كل مربية ومربية أن تتصرف وفقا لوجهة نظرها ومعرفتها بمجموعة الأطفال في روضتها بالطريقة التي تناسبهم وتناسب السياق الذي يعيشونه. لا يوجد بديل لاعتبارات الشخص البالغ المسؤول: نحن نرسم خط يشير إلى اتجاه، ولكن الواقع في حياة الأطفال من الجنسين قد يأتي بحالات وأحداث ووقائع وأحداث بنات وأولاد تحتاج ردّة فعل مبدئية قيمة جديدة وهامة، تصمّم الفارق وتصنعه.

ما هي الطريقة المناسبة للتعامل مع العنصرية؟ هل نسي الظاهرة باسمها حين تحدث؟ مثلا، ضايق أطفال في حضانة معيّنة ولدا من أصول أفريقية ونادوه "عبد أسود، عبد سامبا"، فبكي. من الواضح أنه ينبغي رفض التصرف، هل يجب أن نفسّر للأطفال أن مثل هذه التسميات هي عنصرية؟ وكيف؟ هل نكتفي بالقول أننا لا نستعمل الأسماء التحقيرية في الروضة؟ أو ربما أجلنا النقاش وقصصنا قصة أخرى مشابهة ولكن مختلفة، لنفسر من خلالها ما هي العنصرية؟

تبدأ التربية المناهضة للعنصرية باتخاذ موقف واضح حتى في جيل الروضة ضد تصرفات عنصرية لا يمكننا نتقبلها. العنصرية هي نوع من العنف، وكما لا يمكننا أن نسمح بشكل آخر للعنف في الروضة، في ساحة اللعب وفي العائلة، فإننا لن نسمح بمظاهر العنصرية في الروضة. ولكن أي تفسير سيرافق هذا الرفض القاطع؟ كيف نفسّر للأطفال من الجنسين ما هي العنصرية؟ كيف نخلق تعاطفا مع مَنْ هُين أو تمّ المسّ بمشاعره؟ متى يصحّ إعطاء التفسير واتخاذ موقف واضح؟ في أي سياق؟

على التربية المناهضة للعنصرية أن ترفض أحداثا عنصرية. وفي الروضة، أحداث من هذا النوع، أحيانا. مثال على ذلك، رأى الأطفال في إحدى الروضات رجلا صينيا يقف على شرفة أحد البيوت المجاورة للروضة وهو يعتني برجل مسن، وقد اعتادوا مُناداته كما في جوقة "صيني صيني" دون أن تُولي المربية ذلك أي اهتمام. في روضة أخرى نظر الأولاد من خلال السياج إلى عامل نظافة أسود البشرة ونادوه "شوكو، شوكو" فابتسمت المعلمة في الروضة. التربية المناهضة للعنصرية لا تكتفي برفض الظاهرة، يجب أن يتبع ذلك الشرح والتفسير. في هذه الحالة كان بالإمكان تعليم الأطفال عن الصين، إحصار صور إلى الحضانة، أغاني وعبادات وتقاليد من الصين، صنع المصابيح الصينية وحتى دعوة العامل الصيني للحضانة لكي يتمكن الأطفال من التواصل مع الانسان كإنسان. أي العمل الإيجابي الذي يفكك النظرة النمطية عند الأطفال، مهمّ بل أكثر أهمية من رفض التصرف المسيء.

في روضة أخرى، لعبت مجموعة من الأطفال بأشرطة ملوّنة. توجّه طفل من أصل اثيوبي إليهم وأراد الانضمام للعبة. أجابته البنات: "لا تستطيع أن تلعب معنا، لأنك لست مثلنا". سألت المربية عن سبب هذا التصرف اتجاه الطفل فقلن لأنه ولد ولأنه غير نظيف "أسود". ردّت المربية أنه كلام غير لائق وأن الجميع في روضتنا متساوون، البنات والأولاد، وأن الجميع نظيف. ذهب الولد مُهانا. لنتمعن بما حدث: قامت المعلمة برد فعل وأشارت إلى قول البنات كونه قيمة سلبية ولكنها لم تقم بإعطاء التفسير الذي يضع المقولة في سياق أوسع من التمييز والعنصرية. كما أنها لم تقف بحزم ضد التصرف ولم تبادر إلى نشاط معين أو تفسير

عام بعيدا عن الحدث في وقت لاحق. لو كان الحديث عن عنف جسدي لما كانت المربية أكتفت بقولها "هذا غير لائق". لو قامت البنات بدفع الولد أو ضربه لأوقفت اللعبة غاضبة من العنف الجسدي ولربما عاقبت من ضرب أو تحدثت عن حادثة مشابهة بواسطة دمي ولكانت سألت الأطفال عن رأيهم لكي يناقشوا التصرف وليشجبهوه. هنا، أيضا، يطرح السؤال نفسه هل يجب إعطاء الظاهرة أسما - عنصرية - وشرحها، أو الاكتفاء بشجبهها فقط؟ هل يجب الشجب بشدة؟ بوضع خطوط حمراء واضحة جدا؟ أو الاكتفاء بردة فعل سلبية أقل شدة؟ متى نعود إلى الموضوع؟ وبأي طريقة؟ قامت البنات بنسخ ما يرين في الواقع وترجمته إلى اللعب. كيف يُمكن شجب التصرف دون تمرير رسالة اتهام؟ وماذا مع الولد الذي أهين؟ كيف نمكته؟ كيف نعزز الإحساس الإيجابي بهويته؟ كيف نُعطيه الأدوات لكي يتمكن من مواجهة مثل هذه الظواهر؟

العنصرية هي عنف. هي نوع من أنواع العنف المُسبب وليس أقل عنفا من الضرب ولا تقل إيلا. يجب أن يكون التعامل معها حازما وواضحا. الرسالة بشأنها يجب أن تكون رسالة رفض غير قابلة للتأويل، بالضبط كما هو الحال اتجاه مظاهر العنف الأخرى. توجيه المربية كان يمكن ان يكون إيجابيا باتجاه احتواء جميع الأطفال في الروضة، دون فرق عرقي أو ديني أو جنسي. كان بإمكان المربية تطوير اللعبة: إضافة أدوات مساعدة جذابة أو إعطاء الطفل شريطا جميلا اضافيا لكي ينضم إلى اللعبة.

تمحورت مجموعة من الأبحاث في الولايات المتحدة حول تأثير العنصرية على التصور الذاتي عند الأطفال وأثبتت أن التصور الذاتي لدى الأطفال الذين يعانون من العنصرية (وهم في العادة أطفال أصولهم من دول العالم الثالث) يتأذى كثيرا<sup>5</sup>. تُمَيِّر الأبحاث بين التصور الذاتي الإيجابي الذي يتكوّن في إطار العائلة والمجموعة وبين الوعي للتوجهات العنصرية ولممارسات المجتمع العنصرية. ولهذا، في حادثة من هذا النوع، يتلقى فيه الطفل/ة الرفض أو الإهانة بسبب انتماءهما العرقي، الاثني، الجندري، الديني، الطبقي أو بسبب إعاقتهم. تكون وظيفة الشخص البالغ تعزيز الطفل/ة وتمكينه/ا. من المهم تكريس اهتمام خاص من أجل تعزيز التصور الذاتي عند الأطفال المعرضين لتعامل غير متساوٍ بسبب لون بشرتهم أو انتماءهم الاثني أو الطبقي أو الديني أو الجندري أو بسبب إعاقة ما.

يُصعّب صِغَر عمر الأطفال التعامل مع موضوع العنصرية ويُنتج معضلات ليست سهلة. يعرض كتاب حجيت كوهين "طفل الشوكولاتة" والذي ذكرته سابقا - بالسلب للأسف - حادثا حقيقيا يحصل بين الأطفال: يسأل الأطفال البيض، أحيانا، إن كان اللون الأسود سيزول إذا اغتسل الأطفال في الحمام؟ مثل هذا السؤال وجب الاجابة عليه. هذا سؤال بريء ولكن يستتر وراءه تذويت الرسالة بأن الأسود ليس أمرا حسنا، وأن الأسود هو عبارة عن وسخ. هذا السؤال البريء هو سؤال مُهين ومؤذٍ للطفل الأسود الذي يسمعه، لأنه يمرر رسالة مفادها أن لون بشرته يُعتبر وسخا في نظر الطفل/ة الأخرى ومن المفضل أن يزول بالغسيل. كما أشرنا آنفا، تمسّ العنصرية بالتصور الذاتي لدى الأطفال. يجب التمييز بين ملاحظة الفروقات وبين إعطاء قيمة سلبية للون البشرة الداكن، للجندر، للإثنية، للانتماء الديني أو الطبقي أو للإعاقة. يتعلم الأطفال في جيل مبكرة التمييز بين اللون العام وبين اللون الاجتماعي، وهم لا يميّز في البداية بينهما.

عندما كان يحيى في الثالثة والنصف من عمره سأله أمه ما هو لونها المفضل، قالت أحمر. غضب لأنها لا تحبه. في المرة التالية كانت حذرة وقالت انها تحب النبي.

يسأل الأطفال أسئلة كثيرة ويُعطون ملاحظات تعكس الطرق التي يستعملونها للقيام بالتصنيفات والتمييز. من الصعب أن يفهموا أن الأشخاص الذين يختلفون عنهم في منظرهم أو يتصرفون بطريقة مغايرة ينتمون إلى نفس المجموعة، يتطلب الأمر منهم مجهود لكي يفهموا ما هي الهوية الاثنية والقومية لهؤلاء الأشخاص، وما هي الصفات التي ينسبها المجتمع إلى أعضاء المجموعة الاثنية. يشير الأهل إلى أن الأطفال يسألون عن لون البشرة في العائلة نفسها: لماذا يكون لون البشرة عند أحدهم أعمق منه عند الآخر وكيف يُعقل أن يكون الجميع من نفس العائلة؟ يريد الأطفال البيض أن يعرفوا لماذا يُقال عنهم أنهم بيض في حين أن لون بشرتهم وردي ولماذا لا يكون طفل/ة لأب أسود وأم بيضاء أو العكس، رماديا؟

5. Hirschfeld, L. A. (2008). Children's developing conceptions of race. In S. M. Quintana & C. McKown (Eds.), *Handbook of race, racism, and the developing child* (pp. 37-54). Hoboken, NJ: John Wiley & Sons

الهوية الإثنية أو الجندرية مبنية على انتماء لمجموعة. يميل الأطفال الصغار إلى رؤية أنفسهم في المركز، تعلمهم ذاتي ويتمحور فيهم. من السهل عليهم فهم الجماعة (المجموعة) عن طريق العائلة لأنها انتماء لمجموعة معروف لهم من حياتهم. من الممكن أن يفهم الأطفال بأنهم يكتسبون الصفات الجسدية والثقافية التي تميزهم من عائلاتهم ومن الممكن تفسير الانتماء الاثني/ الثقافي كانتماء لعائلة أكبر.

يصقل موقف المربية وباقي البالغين تعامل الأطفال من الجنسين مع المجموعات الأخرى. هكذا مثلاً، وفي أعقاب حدث من أحداث الساعة الذي تم تداوله في الحضانة، سألت المربية الأطفال كيف يشعرون، سجلت أقوالهم وقامت بتعليقها على الحادث. قالت طفلة ينبغي قتل كل العرب، سجلت المربية ذلك وعلقتة على الحادث. هكذا تكون بثت رسالة مفادها إن مقولة كهذه شرعية ومتساوية مع كل مقولة مقبولة أخرى. عندما رأت ذلك المفتشة وعبرت عن صدمتها وطلبت إنزالها عن الحادث، قالت المربية مفسرة أنها علقتها على الحادث لأنها عبرت عن مشاعر الطفلة. تعبر هذه الحادثة عن البلبلة

الموجودة حول مصطلح العنصرية، لو أن الطفلة قالت أنه يجب ضرب كل طفل يقوم بعمل سيء لكانت فسرت المربية فوراً أن الضرب ممنوع وأنها لا تضرب، لم تكن لتعلق مثل هذه المقولة على الحادث. مقولة مثل "قتل العرب" عنيفة بالدرجة نفسها ولربما أكثر، ولكن المربية صنفتها كشعور وليس كتخطئ للحدود الحمراء المتفق عليها في الصف. بعد

توبيخ المفتشة، قامت المربية بإزالتها عن الحادث. الطفلة غردت عبارة سمعتها من البالغين في محيطها، موقف المربية يصقل التفسير والتعامل في مثل هذه الحالات. من الممكن عدم تقبل المقولة دون المس بمشاعر الطفلة. تقبل مشاعر الأطفال أمر هام جداً، لكن في هذه الحالة لم تعكس شعوراً وإنما هي تكرار لعبارة سمعتها الطفلة.

في حالة مشابهة أشارت المربية إلى لافتة "عبادة"، والتي كانت معلقة في زاوية الطبيب/ة وسألت ماذا كتب هنا كجزء من فعالية لمعرفة القراءة والكتابة. "الموت للعرب"، أجابت إحدى الطفلات. أجابت المربية "مكتوب هنا عبادة". فهمت ان مثل هذه الهتافات التي يسمعونها الأطفال تشغلهم لذلك بدأت بإجراء محادثات في مجموعات، شرحت فيها ظاهرة الهتافات العنصرية من خلال الحديث عن حالات أخرى حدثت ورفضت الظاهرة رفضاً قاطعاً.

لا نريد إبعاد الناس عن النضال ضد العنصرية وتغييرهم منه. الأسئلة حول الكمية والطريقة هي أسئلة هامة جداً يجب التفكير فيها. يخشى الكثيرون من كلمة العنصرية، وعند ذكرها - وحتى في سياق حدث عنصري واضح جداً- ينغلغون غير مستعدين للإصغاء.

في الحدث الذي وصفناه في البداية، والذي قام فيه أ. بتجاوز طفلة وقفت في الصف للتحلق، وصرخ عليه والدها أن يعود إلى السودان، تواجد هناك أب آخر سمعه يتهجم ويصرخ ويهدد الطفل الصغير. غضب الأب الذي كان شاهداً على الحدث جداً على التعامل العنيف مع الطفل. غضب على الأب المهذد، وبخه قائلاً أنه لا يملك أي حق لمهاجمة طفل صغير وإخافته، حتى ولو قام الطفل بعمل غير مقبول من وجهة نظره، وطلبه بمغادرة ساحة الألعاب فوراً. لاحقاً، أخبر الأب المدافع عن الطفل والدة أ. عن الحادثة وشاركته هي بتعداد الحالات التي يواجه فيها ابنها تعاملاً عنصرياً من الكبار وأطفال من الجنسين في حالات مختلفة. ذهل الأب، لم يفهم الحالة على أنها تصرف عنصري وإنما مس بطفل قام هو بالدفاع عنه، هل كان من الصحة استحضار سياق الحدث العنصري أو شكر الأب المدافع فقط على تصرفه الجميل ووقوفه إلى جانب الطفل المهان؟

تقترح جال هرمان اتباع التوجه الإيجابي دوماً، عن طريق توفير المعلومات الإيجابية والتي تغير السياق. التوجه الإيجابي أكثر نجاعة وملاءمة للأطفال في الجيل المبكر وتقرب، أحياناً، قلوب البالغين/ات، أيضاً.

أمر جوهرى أن يتعلم الأطفال منذ نعومة أظفارهم أنه بالإمكان منع العنصرية وأن العنصرية ليست جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الانسان، وأن هنالك من يعمل للحد من العنصرية وأنه بإمكانهم أخذ قسط في هذا النضال. من خلال محادثات مع البالغين يشكلون القدوة الشخصية، وعن طريق النشاطات المختلفة بإمكانهم التماثل مع النضال ضد العنصرية وتطوير إحساس إيجابي اتجاه مشاركتهم في هذا النضال.<sup>6</sup>

نقترح تمكين المجموعات التي تعاني من التمييز، تطوير وعي يرفض العنصرية واستحضار الظاهرة ورفضها في الوقت ذاته. بناء الهوية لدى أطفال ينتمون لمجموعات تعاني من التمييز يتعلق بمواجهة العنصرية. المهمة بالنسبة للأطفال من المجموعات التي تعاني من القهر العنصري هي تعلم كيفية مُحاربة تأثيرات

6. Derman-Sparks et al, "Children, Race and Racism: How Race Awareness Develops". See note no. 2.

العنصريّة عن طريق توفير المعرفة فيما يتعلق بالهوية الثقافية/ الاثنية، وتعزيز الفخر بها وإكسابهم الأدوات لمحاربة تأثير العنصريّة على الفرد. المهمة بالنسبة للأطفال الذين ينتمون إلى مجموعة الأكثرية هي أن يتعلّموا ان يكونوا غير عنصريين. في مجتمع مُتقطّب، الفجوات فيه أخذة بالاتساع، يكون لهدف تربية الأطفال من مجموعة الاكثرية المناهضة للعنصريّة أهمية كبرى وأفضلية وطنية.

## طريقة العمل

بسبب كون موضوع التربية المناهضة للعنصرية مركبًا يثير معضلات كثيرة، من المفضل إقامة مجموعة داعمة من المربيّات المعنّيات بالموضوع، لإجراء تفكير وحوار مشترك وعدم التعامل مع الأمر بمفردها. في مجموعة كهذه من الممكن إحضار أمثلة على أحداث، محادثات أطفال أو تخطّطات، وتبادل فعاليات وتجارب ناجحة مما سيخفف من التعامل مع الموضوع ويُتيح بلورة المعضلات والتعمق فيها.

الاهتمام بالنضال ضد العنصريّة هو مهمة مستمرة على مدار السنة وليس موضوعا نناقشه على مدار أسبوع وننتقل إلى موضوع التالي. تتطلب هذه المهمة حساسية ومرونة، الملاءمة مع أوضاع ومضامين وأحداث الساعة المختلفة والإصغاء إلى الأطفال. على التربية المناهضة للعنصرية أن تندمج مع الجوانب المختلفة للعمل التربوي في الروضة، في المواضيع المختلفة وزوايا المختلفة في الروضة، وليس كنشاط مرة واحدة. الرسائل المبتوثة ضد الأفكار المسبقة والنمطية مطلوبة في أوضاع كثيرة ويجب تكرارها في السياقات المتنوعة: طفل/ة سيذكر الرسالة من كتاب، آخر سيتعلم عن طريق الموسيقى وأخرى عن طريق التمثيل، يتعلم الأطفال بطرق مختلفة ولهذا من المفضل إدراج الرسائل في فعاليات متعددة وتمريها في نطاق واسع من زوايا مختلفة.

يحتاج جميع الأطفال إلى المحفزات الإيجابية. هنالك مَنْ يحصل عليها في كل مكان ودون مجهود، بينما هنالك آخرون لا يرون أنفسهم بشكل إيجابي في العالم الذي يحيط بهم. المربية الجيّدة تأخذ بالحسبان تنوع الأطفال وحاجتهم إلى المحفزات الإيجابية. اذا كان المجتمع يبث رسائل غير إيجابية للأطفال ذوي البشرة الداكنة أو أصحاب القسّمات الشرقية أو العربية أو ذوي الإعاقة وغيرها - تستطيع المربية أن تخلق بيئة آمنة لهؤلاء الأطفال عن طريق المحفّزات الإيجابية بالذات لأولئك الأطفال الذين يقوم المجتمع برفضهم. يعاني هؤلاء الأطفال أحيانا من الوصمة، يذوّتون القهر الموجه ضدهم أو يعبّرون عن غضبهم من خلال تصرفات تعرقل سيرورة الأمور في الروضة. يُخفّف توفير المحفزات الإيجابية بالذات وإحاطتهم بالدعم والحب، بالتقبل والدعم - التصرفات السلبية النابعة عن الرفض الاجتماعي والأفكار المسبقة والتعامل الاجتماعي العنصري اتجاه الطفل/ة ومجموعة انتمائه/ا.

إننا ندعو ونوجّه إلى التعلّم الحسيّ والذهني الذي ينتج سيرورة تربوية تُتيح فهم القيم وتذويتها. بالإمكان، من خلال العمل المستمر، أن نطوّر لدى الأطفال مبادئ أخلاقية وحسّاسية إنسانية وحكما أخلاقيا وتصرفا واعيا. التعلّم المقترح هو تجريبي ويستعمل طرقًا تعليمية متنوعة وزوايا رؤية وتجارب. يُتيح كلّ هذا فحص المشاعر والأفكار والمواقف ويأخذ بالحسبان الطرق المختلفة التي يتعلّم من خلالها الأطفال. كل طفل وطفلة على طريقته/ا، هنالك من يتعلّم من خلال الأدب وآخر من خلال تمثيلية دراماتيكية وثالث من خلال التعبير الابداعي. يتعلّم الأطفال من الحسيّ إلى المجرّد ومن الدائرة القريبة إلى الدائرة الأبعد، من خلال حياة الطفل/ة انتقالا إلى مجموعة الأطفال والمجتمع عامة، ومن خلال التطبيق المحسوس إلى المبادئ وقوانين التصرف المجرّدة. كما أننا نُوصي باستخدام الاقتراحات الواردة هنا. تستطيع المربية أن تختار فعالية أو سلسلة فعاليات وملاءمتها للروضة وفقا لمعرفتها بالأطفال. وتستطيع استعمال قسم من الأفكار الموجودة هنا بشكل مرّن بحسب وجهة نظرها.

## الأبعاد العملية

### البيئة التربوية

#### جدران الروضة - عرض شخصيات متنوعة

الكثير من التعلّم يُدوّت عن طريق البيئة التربوية ومن خلال التفاعل معها. هكذا، تقوم جدران الروضة بتمرير رسائل تربوية مبدئية، فهي تعلن عن المواضيع التي سوف تدرّس، عن الأعياد والأهمية التي نعطيها للمواضيع المختلفة. تبتّ البيئة التربوية الرسائل حول ما هو مقبول وغير مقبول فيما يخص تعاملنا مع الآخرين ومع الحيوانات والعالم والطبيعة من حولنا. لكي نمرر رسالة تقبل الآخرين من كل الاجناس. يجب الاهتمام أن يكونوا حاضرين على الجدران. شخصيات لأطفال بشرتهم سوداء، بنية، بيضاء، بنات وأولاد، متدينون وعلمانيون، مع إعاقة وبدونها، يهود وعرب، شريقيون وأشكناز. بإمكان الصور أن تعبّر عن رموز ثقافية مختلفة، مغنون/مغنيات، لاعبو كرة قدم، كرة سلة، رجال ونساء أعمال، رجال ونساء من مهن متنوعة. من الممكن تعليق خريطة العالم في الروضة وفيها شخصيات غير نمطية لأشخاص. عن طريق تعليق صور تعبيرية تعكس تعدد الشخصيات نقوم بخلق دعم مرئي للجهود المبذولة من أجل تغيير التفكير والتصرف اتجاه أناس وأطفال ذوي بشرة غامقة أو ذوي بشرة مغيرة أو اتجاه أشخاص مع إعاقة، مجموعات إنسية أو قومية، ديانات أخرى، فقراء أو كل من لا ينتمي إلى "مجموعتي".

#### الرسائل المبثوثة ضد الأفكار المسبقة والنمطية المطلوبة في أوضاع كثيرة ويجب تكرارها في السياقات المتنوعة

#### مكتبة - استعمال أدب الأطفال

يحبُّ الأطفال الكتب والقصص، والكثير من التعلم يحدث من خلال الكتب. يعكس أدب الأطفال المبني الاجتماعي وتعرض الرسومات فيها صورة للعالم لا يوجد فيه تقريبا أطفال بشرتهم غامقة أو مع إعاقة. معظم أبطال القصص هم أولاد وليسوا بنات. هنالك عدد قليل من الكتب يحاول أن يعرض المختلف وأن يُثير النقاش حول العنصرية والتعامل غير المتساوي اتجاه فرد من المجموعة. نوصي باقتناء مثل هذه الكتب لمكتبة الروضة وتشجيع الحديث والنقاش بعد قراءتها. من المهم تشجيع الأطفال على تنمية التوجه النقدي من خلال أدب الأطفال وتطوير موقف قيمي ومبدئي لديهم مبني على المساواة. كما بالإمكان، أيضا، المبادرة إلى حوارات تواجه واقع الأطفال مع الواقع المعروف في الكتاب. وهكذا، بالإمكان أن نقترح على الأطفال إعادة كتابة القصص. في قصة البطة القبيحة مثلا، والتي يتم فيها رفض البطة ووصمها بالبشاعة بسبب لونها، يُمكن التحدث عن التمييز والعنصرية وأن يُقترح على الأطفال أن يكتبوا تنمة أخرى للقصة من اللحظة التي تلاحظ فيها البطات لونها المختلف. من الممكن تشجيع الأطفال على كتابة قصة تعبّر عن التقبل والمساواة أو نضال البطة من أجل حقوقها والمعاملة المنصفة.

سألت المريية في روضة الأطفال ماذا كان بإمكان سندريلا أن تفعل بدل الجلوس في البيت وانتظار الجنية لكي تنقذها حينما ذهبت أحواتها إلى الحفل. اقترح الأطفال أفكارا مثيرة مثل أن تشتكي لوالدها عن التمييز، أو أن تذهب إلى محام أو أن تشتكي لجمعية حقوق الطفل. تشير أفكارهم الفاعلة إلى أن العمل الذي حدث في الروضة حول الاعتراف بالمساواة في الحقوق وبقيمة النضال من أجلها. قد ذوتها واستوعبها الأطفال.

من الممكن قراءة أساطير جديدة للأطفال تكون فيها البنات/النساء قويات وقادرات مثل قصة "أميرة في الكيس الورقي" بقلم مونش. أو تحليل كتب معروفة مثل "دار للإيجار" من وجهة نظر التمييز والأفكار المسبقة والعنصرية ورفضها. من الممكن إثراء مكتبة الروضة بقصص عن أبطال ثقافيين سود البشرة مثل روزا باركس التي رفضت أن تجلس في الباص من الخلف كما يقضي أحد القوانين أن يفعل المواطنون السود في الولايات المتحدة في تلك الأيام. مارتين لوثر كينج، مهاتما غاندي وأبطال من حقل الرياضة.

ننصح باقتناء كتب لمكتبة الروضة تحكي قصص أطفال من حضارات مختلفة وذوي لون بشرة مختلف. الأدب متعدد الثقافات في البلاد غير متطور ولكن بالإمكان اقتناء كتب كهذه عن طريق الانترنت من الولايات المتحدة. مثلا الكتاب "أبيوي" (Abyoy) الذي يحكيه بيتي سيجر<sup>7</sup>، وبالإمكان العثور عليه في اليوتيوب. كتب تُعنى بتفاسم القوة مثل "تربوتي" و"زوج" بقلم جوليا دونلدسون التي تثير النقاش حول أسئلة التوزيع العادل للقوة واستعمال القوة بشكل غير صحيح. في كتب تتعامل مع رفض الآخر مثل "بيجلا"، من المفضل استحضار ظاهرة العنصرية وتسميتها باسمها ورفضها.

7. Seeger, P. (1994), *Abyoyo*. Aladdin

تُحضر المربيّات في الكثير من الروضات موسيقى غربية فقط، إسرائيلية/ عربية وكلاسيكية. من المهم إحصار تمثيلات لموسيقى متنوعة إلى الروضة. أغاني معروفة يسمعونها الأطفال في البيت، موسيقى شرقية مثل الجوقة الأندلسية، هيب هوب، موسيقى عالمية، موسيقى سوداء، هندية وعربية وغيرها. من المهم أن يكون توازن في الروضة بين الموسيقى الشرقية والغربية. نوصي بإدخال صور لآلات موسيقية تشمل، ليس فقط

آلات أوركستريّة وإنما طبول، عود وسيتار وغيرها. اليوم، وبوجود الإنترنت، من السهل جدا الحصول على صور كهذه. من الممكن التحدث إلى الأطفال حول أنواع الموسيقى المختلفة وعن الثقافات المختلفة التي تنتج موسيقى مختلفة وإعطاؤها جميعها مكانة محترمة. تطوير الحُبّ اتجاه الأنواع المختلفة للموسيقى يتيح الانفتاح وتقبل الثقافات الإثنية المختلفة والتكاتب مع أبطال وبطالات قوميين من قوميات مختلفة وذوي ألوان مختلفة، لغات مختلفة وأماكن مختلفة.

### زاوية العالم

يحبّ الأطفال أن يتعلموا عن أماكن مختلفة في العالم، وفي عصر الانترنت والتلفاز هنالك انكشاف أكبر لمثل هذه الأماكن والتي تثير حبّ الاستطلاع لدى الأطفال. من الممكن إحصار صور ومجلات سفر للروضة تعرض أماكن مثيرة من العالم من مكاتب السفر. كتاب اليونسكو "شعوب وأماكن" الذي كتبه بيتر سير<sup>8</sup>، يعرض التنوع البشري. زاوية العالم التي تتغير فيها الشخصيات والأكلات وأنواع الموسيقى تُتيح تطوير انفتاح على الاختلافات، وتمكّن من تطوير حديث حول الاختلافات بين الأشخاص وتطوير منظور للتنوع والمساواة والنظر إلى الاختلاف كعامل مُثّر يُثير الفضول والدهشة وليس كعامل للتعالي واستعمال القوة وتطوير الإحساس بالفوقية. من خلال زاوية العالم يُمكن، أيضا، التعلّم عن موضوع الثقافات: اختيار عدد من الثقافات وإجراء نشاطات حولها مثل نشاطات إبداعية، القصص والحركة وغيرها.

في إحدى الروضات أحبّ الأطفال الأعلام جدا - قامت المربية بتعليق خريطة العالم مع الأعلام، أحضرت ألعاب ذاكرة مع الأعلام وتعلّم الأطفال عن بلدات وقارات مختلفة. تمثيل قارة أفريقيا كان لأشخاص سود البشرة من قبيلة ماسي مارا من كينيا. كان الانطباع الأولي لدى الأطفال أن الأفارقة هم مقاتلون. مثل هذه التمثيلات تخلق الأفكار النمطية وتنتج لاحقا نظرة مثيرة للدهشة أو سلبية، لكنهما، على كل الأحوال، لا تمتّ بصلة إلى الواقع. فكرة التعلّم عن قارات ودول عن طريق الأعلام وميزات هذه الدول هي فكرة ممتازة ولكن من المهم أن تتم بحساسية لمنع خلق الأفكار المسبقة. إفريقيا هي قارة ساحرة بالنسبة للأطفال. التعلّم عن الحيوانات في الأدغال وفي السافانا والصحراء مُشوق ومحفّز، لكن من المهم أن يصاحبه عرض مراكز مدنية، قرى وعجائب الطبيعة وغيرها. وبالطبع، مع إضافة الموسيقى والرقصات والقصص الإنسانية.

### التمثيل الدرامي

التمثيل الاجتماعي. الدرامي هو جزء هام من تطوّر الأطفال من أولاد وبنات. فهم يتعلمون عن طريقه فهم العالم وتفسيره لأنفسهم. في جميع الروضات تجتذب زاوية العائلة الأطفال وتشجّعهم على ممارسة التمثيل الدرامي. كذلك، زاوية المكعبات والزاوية التنكّرية تتيحان إمكانيات عديدة للتمثيل. تحفّز الأغراض المرافقة وأدوات التمثيل الأطفال على التمثيل الدرامي لما يرونه حولهم. لهذا، نوصي إضافة مُحفّزات لهذه الزوايا لكي تُشجّع الأطفال على التمثيل الدرامي الذي يعكس لقاءهم بمواضيع مثل العرق، الجندر والإعاقة وغيرها. أدوات مساعدة في زاوية التنكر مثل أقنعة لأشخاص ذوي تقاسيم مختلفة للوجه، أقنعة (ملابس، قبّعات، أحذية، حقائب)، دُمى من ثقافات مختلفة، دُمى سوداء، صور تعكس شخصيات مختلفة مع بشرة مختلفة مثل طيارين، رياضيين، عارضات أزياء ورجال إطفاء، صور تعرض أشخاصا مع إعاقة أيقين، تمثيلات متنوعة للثقافات - كل هذا، بإمكانه أن يحفّز الأطفال على تمثيل أدوار فيها التقبّل والاحتواء. من الممكن أن تكون المربية مُصغية للتمثيل وأن تتدخل وقت الحاجة وفقا لوجهة نظرها..

8. سير، بيتر (1987) شعوب وأماكن. تل ابيب: زمزرة بيتن

عادة ما تستحوذ مجموعات الأَوْلاد على مساحة أكبر مما للبنات في الساحة. وقلما نلاحظ أن تقاسم القوة الاجتماعية تنعكس، أيضا، في الحيز. يعكس اللعب الحرّ للأطفال عادات البيئة والعالم الذي يعيشون فيه. الانتباه إلى هذا العالم يكشف لنا أية أفكار وعادات اكتسبها من البيئة وسيُمكننا من كشفهم على قيم ومبادئ بواسطة تحفيزهم على اللعب الذي يُشرك الآخرين. تمكّنهم الساحة من تمثيل درامي من نوع آخر. مثلا البناء في الوحل، اللعب في الرمل وخلق عوالم جديدة في علب الكرتون التي رماها الخُصري: نضع تراباً في كلّ علبه، نضيف الأغصان وأحزمة سوداء للشوارع، سيارة أو أكثر، أو نبي بيوتا - كلّ طفل يلعب في علبته ويخلق عوالم. من الممكن، أيضا، أن نُدخل إلى كل هذا أشكالاً مختلفة للحياة مثل حيوانات وغيرها وتطوير محادثة مثيرة حول هذه الفعالية.

من المهم خلق توجّه إيجابي  
في الروضة فيما يخصّ طعام  
الطوائف المختلفة وبناء  
توجّه يحترم العادات المختلفة  
للعائلات من الأصول المختلفة.

أكلات

نوصي بالتنوع في حفلات ومناسبات تحضير الأكل وفي الأطباق التي يتم تحضيرها في الروضة، وفسح المجال لتمثيل أنواع الأطباق التي تميّز الأسر التي يأتي منها الأطفال. هذا، لإفساح المكان والاعتراف بثقافة الأطفال وإعطائهم تقييما ذاتيا إيجابيا فيما يتعلق بأصولهم وعاداتهم. قمنا في إحدى السنوات بتنظيم مناسبة في أحد الصفوف وقامت كلّ طالبة بإحضار طبق طعام. أحضرت طالبة أثيوبية أنجرا. بالنسبة لمُعظم الطالبات، كانت هذه المرة الأولى التي يتذوقن فيها أكلًا أثيوبيا. عندما تحدثنا عن هذا قالت إحدى الطالبات أنها ولجّلتها تربّت على الاعتقاد بأن الأكل الأثيوبي قذروا أنها لم تتذوقه حتى هذا اليوم. "فليسامحني الله أنا خجلة بالتربية التي تلقيتها"، وطلبت العفو من صديقتها الأثيوبية. من المهم خلق توجّه إيجابي في الروضة فيما يخصّ طعام الطوائف المختلفة وبناء توجّه يحترم العادات المختلفة للعائلات من الأصول المختلفة.

العمل مع الأهل

للأهل دورٌ هام في التربية ضد العنصرية، ولهذا من المفضّل عقد لقاء مع الأهل في هذا الموضوع. يتبنى الكثير من الأهل التوجه المتجاهل ويفضلون عدم التحدث مع أطفالهم عن الموضوع. الناس من رجال ونساء غير واعين للعنصرية التي في داخلهم. يتلقى الأطفال الملاحظات العنصرية التي يسمعونها في البيوت ويقومون بتدويتها. لا توجد نوايا سيئة عند الأهل وإنما نقص في الوعي. ولهذا، هنالك حاجة في إجراء لقاء مع الأهل وكشفهم على تجربة بهدف رفع وعيهم لأهمية الموضوع. في البيت الذي يوجد فيه قيم إيجابية وتعامل يقوم على المساواة، يستطيع الأطفال التعامل مع الموضوع بصورة أسهل والحفاظ على تقييم ذاتي إيجابي. نقترح عدة طرق لتفعيل الأهل:

1. العمل في مجموعات بحيث تتلقى كلّ مجموعة عدة حالات يتعامل فيها الأطفال مع موضوع العرق، الجندر والإعاقة. في كل مجموعة يتحدث الأهل عن الحالة ويحلّونها ويقترحون طرقا للتعامل.
2. تصوير أطفال الروضة في حالات مختلفة: بنات وأولاد في لعبة ليست جندرية (بنات يتسلقن الشجرة، الأولاد يقمن بتمثيل دور نسائي)، لعب مختلط لأطفال ذوي بشرة مختلفة ومتشابهة، عرض الصور (يحبّ الأهل رؤية صور أطفالهم) ونقاش حول الحالات التي تمّ عرضها.
3. محاضرة للأهل حول موضوع التربية لمناهضة العنصرية.

4. العمل في مجموعات، يطلب من كل مجموعة عمل شمس التدايعيات حول الأفكار المسبقة عن مجموعة أخرى (يهود، عرب، سودانيون، شريقيون، أشكناز، اولاد، بنات، فقراء، مسلمون، مسيحيون، دروز، شركس، بدو، أشخاص مع إعاقة، مرضى نفسيون، متوحدون). يسجلون التدايعيات على ورقة كبيرة ومن ثم ينظرون إلى الأفكار المسبقة ويتحدثون عن المشترك بينها، كونها مهينة، والطرق لتربية الأطفال على رؤية غيرهم بشكل غير منمط.

## فعاليات تمثيل وكتب أطفال

### دمية سوداء دمية بيضاء

تعتمد هذه الفعالية على بحث لمامي كلارك، وقد أعطت الأطفال حق اختيار الدمية التي يريدون اللعب بها من بين دمتين متماثلتين في كل شيء ما عدا اللون: دمية بيضاء مع شعر أشقر ودمية سمراء مع شعر أسود.<sup>9</sup> أظهرت التجربة بشكل قاطع تفضيل الدمية البيضاء عند جميع الأطفال. هكذا كشفت التجربة عن تذويت العنصرية عند الأطفال منذ جيل الطفولة المبكر. أعادت كير دافيس التجربة عام 2005 وسجلتها في فيلم وثائقي حاز على جوائز عديدة (من الممكن مشاهدته في الشبكة).<sup>10</sup> في هذه الفعالية نقترح إحضار دمتين متماثلتين للروضة، بيضاء وسوداء، إعطاء الأطفال إمكانية الاختيار بينهما ومحاذاة عن سبب اختيارهم الدمية التي اختاروها. من المتوقع أن يختار معظم الأطفال الدمية البيضاء. ستكشف المحادثة عن التذويت القائم عند معظم الأطفال أن الأسود غير جميل وأن الأبيض أجمل من الأسود. الحوار عن مواقفهم المدوّنة ستمكّن المربية من الشرح وإبراز الجمال الكامن في الأسود، التحدث عن التعامل المتساوي والتعبير عن رفض التمييز والأفكار المسبقة وتشجيعهم على الحكم بحسب الصفات وليس بحسب لون البشرة. على المربية أن تعبر عن موقف إيجابي اتجاه الدمية السوداء وأن تشكل موديلًا للتعامل الإيجابي.

### الرجل الأخضر

القصة المعروفة عن الرجل الأخضر ليونتان جيفن<sup>11</sup>، هي أساس هذه الفعالية. بعد قراءة القصة يتم الطلب من الأطفال تلوين شخصيات الأولاد والبنات بألوان مماثلة ولكن مختلفة، وبعدها نلصق الشخصيات على أعواد البوظة. نوزع الأطفال وفقا لألوان الشخصيات التي حضروها، لمجموعة خضراء، زرقاء، صفراء، حمراء، وهكذا. ثم نطلب منهم أن يكونوا هوية للمجموعة - اسم، أكلة مفضلة، مكان محبوب، ملابس وغيرها. بعدها ندخل إلى كل مجموعة شخصية من لون مختلف: للمجموعة الزرقاء أحمر، للمجموعة الحمراء أزرق، للمجموعة الحمراء أخضر وهكذا. نطلب من الأطفال أن يقرروا ماذا يفعلون مع الشخصية باللون المختلف.<sup>12</sup> مثل هذه الفعاليات تتيح نقاشًا حول مشاعر التقبل أو الرفض بسبب لون البشرة، وحول أسئلة الانتماء وعدمه للمجموعة وما هو الموقف الأخلاقي من هذه الأسئلة.

### شيء آخر

قصة بقلم كاترين كيبب، تحكي قصة مخلوق اسمه "شيء آخر" تم التمييز ضده لأن شكله مختلف عن الجميع.<sup>13</sup> "أسفون انت لست منا. أنت لست مثلنا. أنت شيء آخر"، قالوا له ورفضوا اللعب معه. عندما كان في بيته حضر إليه مخلوق آخر، مختلف عنه، وأراد أن يلعب معه، لكنه وهو الذي عانى من التمييز بنفسه، رفض اللعب لنفس السبب الذي رفضه الآخرون. إلا أنه وفي اللحظة الأخيرة، وبعد أن طرده من بيته، تذكر الشعور بالرفض الذي عانى منه، نادى على الزائر المختلف وطلب منه العودة، وقال له: "أنت لست مثلي ولكن هذا لا يهمني بالمرّة". دعا المخلوق لكي يبقى وأصبحا صديقين. هذا كتاب رائع من المحبذ قراءته والتحدث عنه وتحويله إلى تمثيلية والتفكير بوجه التشابه مع الحالات التي نعرفها.

9. Clark, Kenneth B. and Clark, Mamie P. (1947). "Racial identification and preference among negro children." In E. L. Hartley (Ed.) *Readings in Social Psychology*. New York: Holt, Reinhart, and Winston.

10. Davis.k(2005), "A Girl like me". Available at: Or <http://vimeo.com/59262534>, [http://www.youtube.com/watch?v=z0BxFRu\\_S0w](http://www.youtube.com/watch?v=z0BxFRu_S0w) 3:33 موفيعه بدقه

11. جيفن، يوتان (1983). الرجل الأخضر داخل: الغنمة السادسة عشر. القدس: دفير.

12. كيبب لأول مرة في منهاج "وثيقة استقلالي"، منهاج تعليمي متعدد الأجيال من الروضة حتى الصف السادس، حचित جور زيف وروفي ديكور، إصدار مركز السلام، تل أبيب، 1988.

13. كيبب، كاترين. (1999). شيء آخر. اور يهودا: شيا

يتعامل أطفال الروضات مع السمات الجسدية التي تخصهم أنفسهم وتخصّ غيرهم في الغالب. المجال الثاني الذي يهتمهم هو الميزات الثقافية التي من السهل ملاحظتها مثل اللغة واللباس. ملاحظتهم تأتي على شكل حقائق: عندما يرسم طفل/ة بشرته/ا غامقة مستعملا/ة اللون البني فانه/ا ت/يقول لنفسه/ا: "وأنا بني، أيضا". طفلة لأسرة من غانا تقول: "هذه الأغنية بالإنجليزية، أمي تعرف الإنجليزية". طفلة عمرها ثلاث سنوات قالت حينما رأت زوج مختلط: "مضحك أن الأب والأم ليسا نفس الشيء. يجب أن يكونا نفس الشيء". يتعامل كتاب "شيء آخر" مع التعرف على الآخر ويكشف عن تعامل ينطوي على التمييز بسبب الاختلاف ويرفضه بشكل جميل ولطيف.

## روني تضحك

يحكي كتاب "روني تضحك"<sup>14</sup> قصة طفلة اسمها روني تقوم بأعمال مختلفة: تغني، تضحك، ترقص، تمارس رياضة الركوب على الخيل، تكون أحيانا سعيدة وأحيانا أخرى حزينة. لا فرق بينها وبين أطفال آخرين: "هكذا هي روني، من أخصص قدمها حتى شعرها المقصوص على شكل بوني، بالضبط مثلك - بالضبط مثلي". في الصفحة الأخيرة للقصة نرى أنها تتحرك في كرسي عجالات. إنه كتاب رائع للتربية ضد التمييز على خلفية الإعاقة أو على أية خلفية أخرى. يُمكن بعد قراءة الحديث مع الأطفال عن عدم أهمية هذه الفروقات مثل لون البشرة، أطفال من ثقافة مختلفة، ديانة مختلفة، مكانة اجتماعية - اقتصادية وعرق مختلف وغيرها، قصص تنتهي بالقول "مثلك تماما مثلي تماما"، وتؤكد على المشترك أكثر مما على المختلف والتعامل المبني على المساواة خلاف التمييز.

## عندما التقى الأفعى والفأر لأول مرة

كتاب شيلي إلكيم، "عندما التقى الأفعى والفأر أول مرة"<sup>15</sup>، هو كتاب مهم رغم إن عمره يزيد عن العشرين عاما. تلتقي الأفعى مع الفأر في الغابة ويلعبان سوية. عند عودة كل منهما إلى بيته والتحدث عن الذي لعبا معه، سمعا التحذيرات من أن صديق اللعب هو عدوّ لهم جيلا بعد جيل. ومن حينها لا يلعبان مع بعضهما البعض. ولماذا لا؟ الكلام مع البالغين قد يُبعدهما عن بعض. يؤثر الأهل عليهما بشكل سيء.

## الأخت إوزة والأخ ثعلب

"سبحت الأخت إوزة في البحيرة واختبأ الأخ الكبير ثعلب بين شجيرات الحرش. سبحت الأخت إوزة ببطء باتجاه الضفة. وحين اقتربت بما فيه الكفاية قفز الأخ ثعلب من مخبئه ليقبض عليها. "هكذا أختي الإوزة" قال "الآن قبضت عليك. لقد سبحت في بحيرتي وليس للمرة الأولى، اليوم نجحت، أخيرا، في القبض عليك. الآن سأكسرك رقبتيك وسألتهمك". "مهلا، أمها الثعلب". أجابت الإوزة: "عندي الحق نفسه في أن أسبح في البحيرة مثلك. وإذا كنت تنكر ذلك هيا بنا نذهب إلى المحكمة، وهناك سيتضح إذا كان لديك الحق في كسر رقبتي والتهامي".

هكذا، ذهبا إلى المحكمة. ولكن ماذا كان على الإوزة أن تحتل هناك: المأمور كان ثعلبا، القاضي كان ثعلبا، المحامون كانوا ثعلاب وكذلك هيئة المحلفين. استجوبوا الإوزة، أصدروا الحكم عليها وأعدموها وأكلوا عظامها سوية. والآن اصغوا إليّ جيذا أمها الأطفال. عندما يكون كل من نقابله في المحكمة ثعلبا وما لنا هناك سوى إوزة عادية، لا يمكن أن نتوقعوا العدل في حق عبد أسود مسكين". من فريدريك هيلمان "من يحصل على المقطوعة"<sup>16</sup>.

هذا هو المثل كاملا. ولأننا بشأن أطفال الروضة نوصي بقراءته حتى القسم الذي يذهبون فيه إلى المحكمة حيث تُسأل الأسئلة: كيف شعرت الإوزة؟ كيف شعر الثعلاب؟ بيم حكمت المحكمة بحسب رأيكم؟ هل هذا عادلا؟ لمن كانت قوة أكبر؟ من هنا يُمكن التحدث عن التمثيل العادل للمجموعات في مراكز القوة.

14. جين ويلس وتوني روس من إصدار "يديعوت أحرونوت" وكتب "حميد"، 2001،

15. من إصدار "كيتز" 1992، لا يزال

16. من فريدريك هيلمان "من يحصل على المقطوعة" أساطير وقصص عن السود في أمريكا 1981

تعتمد الفعالية على الكتاب "شعوب وأماكن"<sup>17</sup>. يعكس الكتاب تنوعاً كبيراً للاختلافات بين البشر- من حيث لون العيون، الشعر، اللباس، الطعام، أماكن السكن وغيرها. الفعالية التي نوصي بها هنا هي قراءة الصفحات 2-6 والعمل في مجموعات. أو تقسيم الفعاليات على مدار الأسبوع والتعامل في كل مرة مع قسم آخر من الكتاب:

شعرنا: يرسم الأطفال شعرهم، أو يلصقون على بالون منفوخ عيوناً وفماً وأنفاً، ويقصّون قليلاً من أطراف شعرهم ويلصقونها على البالون. وهكذا، يكون لدينا طفل/ة بالون عليه شعر من كل أطفال الروضة.

كفوف أيدينا: يمرّر الأطفال خطاً حول كفوف الأيدي ويلونوها، أو يغمسونها في ألوان الـ"الدهان" ويطبعونها على ورق مقوى (بريستول) كالختم.

طولنا: نلصق ورقاً مقوياً على الجدار ونرسم عليه إشارة تُؤشّرُ إلى طول كل طفل ونكتب اسمه.

أشياء تضحكننا: يرسم الأطفال أشياء تضحكهم.

أشياء نحب أن نأكلها: يحضر الأطفال كولاها من قصائص جرائد في الاكلات التي يحبونها ويرسمون ما هو ليس موجوداً.

يتم تعليق الأعمال النهائية على الجدران، فتمتلئ الروضة بأعمال الأطفال التي تدلّ على الاختلاف والتنوع الكبير بينهم. يُمكننا في وقت لاحق أن ننظر إلى الأشياء المتشابهة والمختلفة بيننا. من الممكن متابعة قراءة الكتاب حتى النهاية والتحدث عن الاختلاف كتنوع إيجابي وعن التساوي في الحقوق والتعامل المحترم رغم الاختلاف.

17. سبيرو، بيتر (1987) شعوب وأناس. تل ابيب: زمزرة بيتن